الكون مع بلاغة المتشابه اللفظي في سورة الرحمن

The Universe with The Eloquence of Verbal Analogy in Surat Al-Rahman

Dr. Muhammad Sajo Muhammad
Department Of Arabic, Taraba State University, Jalingo
Email: Muhammadsajomuhammad@Gmail.Com

Abstract

The various issues on environment have been discussed, whether the importance, destruction, or ways to prevent the destruction of the environment. Thee paper explore the issue from the conventional viewpoint as well as from the Islamic perspective; Destruction of the environment in recent times has worsened due to the uncontrolled exploitation of natural resources by human beings in order to generate profits. In view of the increasing technological development, Allah said ''He created man, / teaching him the [coherent] speech. / The sun and the moon follow a reckoning, / and the grass and the trees prostrate. / And He has raised the heaven and set up the balance, / [declaring] that you should not contravene with regard to the balance. / And observe the measure with justice and do not skimp the balance. / And the earth, He placed it for [all] creatures. / In it are fruits and date-palms with sheaths, / and grain with husk, and fragrant herb. / So which of your Lord's favours will you deny? (Al-Rahman, 55:3-13) "the paper introduces the subject of Islam and the Environment through three areas, First, it discusses the Quran view of the environment, as stated in this verses, the Holy Qur'an speaks of how Allah created the environment with Truth, and how everything in the environment is His sign and praises Him. Qur'an shows the inherent value of creatures and of life, and how each creature in nature must be respected and cherished by human beings as their fellow beings, Secondly the paper elaborated the creation of Human being and Jinn, Allah created man as His vicegerent (khalīfa) on earth, making the earth a dwelling place for man, and ensured that man's needs could be provided by the earth. Thirdly and finally it discuss on the paradise after date, Allah the almighty said: "But for he who has feared the position of his Lord are two gardens".

Keywords: Heaven, Earth, Angels, Paradise, Jinn's, Animals, Compere, Creatures

المقدمة:

قال تعالى:- (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها)[1] فهو متشابه في صحة معانيه وأحكامه، وتناسب ألفاظه وأساليبه وتكرار قصصه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، والتشابه اللفظي في القرءان الكريم يعد ظاهرة من أبرز ظواهر الإعجاز البلاغي فيه، حيث تتشابه بعض الأيات في جل الألفاظ

وتختلف في بعضها، مما يلفت نظر القارئ المتأمل ويدفعه لتلمس السرالبلاغي وراء هذا التشابه، خاصة أنها تتمثل ظاهرة في كثير من السور.

وأماحياة العرب قبل الإسلام ذات صلة وثيقة وخاصة باللغة والبلاغة والفصاحة، فحياتهم حياة أدبية، واللغة سلاح في أيدي القوم ولذلك كانوا يحملون أفانين القول إلى أسواقهم، وهذه الوحدة اللغوية هي التي نزل القرآن فرسخها وأرسى قواعدها، وخاصة حين تنزلت آياته على ما عرف العرب، ولو لم تكن لغة القرآن هي نفسها اللغة الموحدة التي تعارفوا عليها قبل نزوله لما واجههم حين أنكروا بالتحدي الصارخ الذي واجههم به، فدهشوا بما عرفوا فيها من أساليب البلاغة، وحاروا في تعليل دهشتهم وإعجابهم وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة، لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملا من حروفهم، ولكنهم لم يسمعوا قبلها مثيلا لا في نثر ناثر ولا في شعر شاعر، ولا في سجع كاهن، والبلاغة فنا يدرك بالحس الجمالي، أو كانت جمالا يدرك بالذوق، فأصبحت على أيديهم أحكاما أو معارف صاغوها في حدود وتعريفات، وهذا أمر صاحب العلوم العربية في نشأتها، ثم لاحظها العلماء الحذقون والمتذوقون واستنتجوها من كلام أولئك ودللوا عليها. وأما في العصر الراهن أدرك علماء النهضة أهمية البلاغة ونجاعتها، وأدركوا أنها ليست شيئا زائدا يمكن الاستغناء عنه، وإنما البلاغة أداة مساعدة لنا كفيلة بأن تعلمنا كيف نتكلم بلسان عربي مبين، وكيف ننشئ بأسلوب عربي صحيح، وكيف نفهم ما أنشئ في هذه اللغة من بليغ القول ورائع الكلام. وبعد:

مفهوم علم البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة في اللغة: مصدر بلغ بضم الميم صار بليغا، والكلام البليغ في اللغة: المؤثر، ومنه قوله تعالى: (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)[2] أي: مؤثرا فيهم. والبلاغة في الاصطلاح: يوصف بها الكلام والمتكلم، ولا توصف بها الكلمة، يقال: كلام بليغ، ورجل بليغ، ولا يقال: كلمة بليغة، لأنه لم يصطلحوا على ذلك، إلا إذا أريد بالكلمة: الكلام. وقيل في البلاغة في اللغة: تفيد البلاغة معنى البلوغ والوصول والانتهاء، فعند ما تقول: بلغ الغلام، أي: أدرك ووصل سن البلوغ والرشد.

ويقال: بلغت المنزل، أي: وصلت إليه، وقوله تعالى: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا)[3] أي: وصول إلى سن البلوغ. ومنه قوله: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن) [الطلاق: 2] أي: قاربنه ووصلن إليه. إذن، فالبلاغة عند أهل اللغة هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد. والرجل البليغ: هو من كان فصيحا حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه غاية المعاني التي في نفسه، مما يريد التعبير عنه وتوصيله لمن يريد إبلاغ ما في نفسه.

وأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته. تقول لغة: بلغ الشيء، يبلغ بلوغا وبلاغا، إذا وصل وانتهى إلى غايته. وتقول:

أبلغت الشيء إبلاغا وبلاغا، وبلغته تبليغا: إذا أوصلته إلى غايته ونهايته. وبلغ الغلام وبلغت الجارية إذا وصلا إلى انتهاء مرحلة ما دون التكليف، ودخلا في مرحلة التكليف، ويكون ذلك باحتلام الغلام وحيض الجارية، يقال: ذكر بالغ، وأنثى بالغة. والأمر البليغ: هو الأمر الذي وصل إلى غايته فكان نافذا والبلاغة تكون وصفا للكلام، ووصفا للمتكلم.

ومن مجموع هذه التعريفات للبلاغة نفهم أن البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر جذاب مع تناسب كل كلام للموقف الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون. أو هي ملكة وموهبة في نفس هذا المتكلم يستطيع هذا المتكلم أن يعبر عن المعنى الموجود في نفسه مع مراعاة حال المخاطب من حيث الذكاء والغباء والتوسط، ومن حيث تصديق المخاطب بمايقال أن شكه فيه أو جحوده وإنكاره له. ومن هنا يتضح لنا أن المتكلم البليغ يختلف كلامه على حسب المخاطب، سواء أكان المخاطب منكرا جاحدا، وسواء أكان مخاطبا شاكا، أم مصدقا.

ولذلك فقد استدل البلاغيون بتلك الرواية التي تروى عن ابن عياس المبرد النحوي حيث روى الكندي (الفيلسوف) جاء يوما يقول: « إني أجد في كلام العرب حشواء، يقولون: عبدَ الله قائم، إن عبدَ الله قائم، إن عبدَ الله لقائم، والمعنى واحد» فقال أبو العياس: بل المعاني مختلفة، ف. . «عبد الله قائم» إخبار عن قيامه، و«إن عبد الله قائم» جواب عن سؤال للسائل، و«إن عبد الله لقائم» جواب عن إنكار منكر.[4]

علم البيان وتاريخ نشأته:

علم البيان: أحد فروع علوم البلاغة الثلاثة المعروفة – البيان والمعاني والبديع – وتندرج تحته مسائل بلاغة من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية، ومعناه ما يلي: –

البيان في اللغة: البيان لغة: الكشف والإيضاح والظهور. واصطلاحا: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.[5] وفي تعريف أخر البيان لغة: هو الكشف والإيضاح، وعلم البيان يشمل: التشبيه – الاستعارة – الكناية – المجاز) واصطلاحا: يعرف علم البيان بـ. . (الصور البيانية) أو (الألوان البينة) أو (الصور البيانية أو اللون الخيالي)[6]

واضع علم البيان: وقد ذكر العلماء البلاغيون أن أول من دون مسائل علم البيان أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه: «مجاز القرآن» وتبعه الجاحظ ثم ابن المعتز، ثم قدامة بن جعفر، ثم أبو هلال العسكري، ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساسه وأكمل في بنيانه.

مفهوم علم المعاني وتاريخ نشأته:

علم المعاني: فعرفوه بأنه قواعد يعرف بها كيفية تطبيق الكلام لمقتضى الحال، فبهذا العلم يعرف متى يؤكد الكلام ومتى يترك التأكيد ومتى يقدم بعض الكلمات على بعض ومتى يؤخر، ومتى

يذكر ومتى يحذف، ومتى يؤتى الكلام موجزا أو مطنبا أو متوسطا، ومتى تعطف جملة على أخرى، ومتى لا تعطف إلى غير ذلك من الخصوصية التي بمراعاتها يكون الكلام مطابقا للمقام. وهو علم يدرس ظواهر تعبيرية كثيرة كالأساليب والتقديم والتأخير والتفريق والتنكير، والذكر والحذف، والتأكيد وإعدامه، والقصر وعدمه، والإيجاز والإطناب.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث تطبيقه لمقتضى الحال. **وفائدته:** الوقوف على أسرار اللغة ولطائفها، وبخاصة معرفة إعجاز القرآن الكريم وامتيازه على كلام البشر. **واضعه:** الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى في 471هـ، فهو أول من دون وحرر مسائله في كتابه: «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز».[7]

1- وقيل: علم المعاني: أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له. فذكاء المخاطب حال تقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابك كان كلامك مطابقا لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبا فهو مطابق لمقتضى الحال ويكون كلامك في الحالين بليغا، ولو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة. [8]

مفهوم علم البديع وتاريخ نشأته:

تعريف علم البديع: البديع علم يعرف به الوجوه التي تحسن الكلام البليغ فمقاصد علم البديع تابعة لعلم المعاني والبيان، ولست أصلية، فلا يعتبر تحسين الكلام بالمحسنات البديعية إذا لم يكن بليغا ولذا يعتبر هذا الفن تابعا للبلاغة.[9] أماالبديع في اللغة: كلمة (بديع) على وزن «فعيل» تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يقال لغة: بدع فلان الشيء يبدعه بدعا إذا أنشأه على غير مثال سبق، فالفاعل للشيء بديع، والشيء المفعول بديع أيضا. ويقال أيضا: أبدع، أي أتى بما هو مبتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مبدع والشيء مبدَع. ومنه قوله تعالى: (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين) [الأحقاف:] [10] علم البديع في الاصطلاح: واصطلاحا: هو علم عرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بها، ورونقا بعد متابعته بمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى.[11]

واضعه: قيل: إن أول من دون في هذا الفن عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة 274هـ، إذ جمع ما اكتشفه في الشعر من المحسنات وكتب فيه كتابا جعل عنوانه عبارة: «البديع». وجاء من بعده من أضاف أنواعا آخر، منهم على ما ذكر البلاغيون.

1- جعفر بن قدامة أديب بغدادي من كبار الكتاب المتوفى سنة 319هـ، ألف كتابا سماه: ((نقد قدامة)) ذكر فيه أكثر من عشرة أنواعا من أنواع البديع، إضافة إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل عبد الله بن المعتز العباسي.

2- ثم أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 395هـ، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعا من أنواع البديع.

3- ابن رشيق الحسن بن رشيق القيرواني، فجمع في كتابه: ((العمدة)) قرابة سبعة وثلاثين نوعا من أنواع البديع.

4- ثم شرف الدين أحمد بن يوسف القيس التيفاشي من أهل تيفاش، وهي إحدى قرى ((قفصة)) بإفريقية، ولد فيها وتعلم بمصر، وولى القضاء في بلده، له عدة مؤلفات، ولادته ووفاته في (580 – 651هـ)

5- ثم عبد العظيم المشهور بابن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة منهاكتابه ((بديع القرآن)) في أنواع البديع الواردة في القرآن، ولادته ووفاته (595 – 654هـ)، وقد أوصل الأنواع إلى تسعة نوعا.

6- ثم صفي الدين عبد العزيز بن سرايا السنبسي الهاني الحلبي) وهو معروف باسم ((صفي الدين الحلي))، ولد في الحلة بين الكوفة وبغاداد، ولادته ووفاته (677 – 750هـ)، فأوصل الأنواع إلى مائة وأربعين نوعا يمكن جمع بعضها في بعض.

7- ثم عز الدين علي بن الحسين الموصلي، شاعر أديب من أهل الموصل، سكن دمشق وتوفي فيها في سنة 789هـ، له مؤلف سماه: ((بدعية)) وشرحه فذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحلي، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.[12]

أسباب نزول سورة الرحمن وعدد آياتها:

وبإسناد عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال كفار مكة (أبو جهل والوليد وعتبة وشيبة وأصحابهم: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب الذي يكون باليمامة، فمن الرحمن يا محمد؟ فأنزل الله (الرحمن). ونزولها تفصيلا: أخرج بن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – ذكر ذات يوم وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذا الخضر تأتي علي بهيمة تأكلني وأني لم أخلق فنزلت: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (46). وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: ((نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق))[13] رضي الله عنه وأرضاه.

ليست سورة الرحمن كان من ذوات الأسباب، وليس كل سورة في القرآن أو كل آية منه يقتضي نزولها سببا معروفا كان أم مجهولا، فالقرآن الكريم كتاب هداية وتشريع يصلح لخطاب كل الناس في كل مكان وعلى امتداد الزمان، وحمل الآية أو السورة على مناسبة أو سبب إبطالٌ لمراد الله من التتريل وحصر لكتاب الله في زمان نزوله، يقول ابن عاشور في مقدمته الخامسة لتفسيره الجامع «التحرير والتنوير»: إن القرآن كتاب جاء لهدي أمة والتشريع لها، وهذا الهدي قد يكون وارداً قبل الحاجة، وقد يكون مخاطَباً به قوم على وجه الزجر أو الثناء أو غيرهما، وقد يكون مخاطبا به جميع من يصلح لخطابه، وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهذيبية، والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلاً عليها، وليمكن تواتر الدين، وليكون لعلماء الأمة مزية الاستنباط [14] وهذه كتب علوم القرآن زاخرة بهذا المعنى في أبواب أسباب التروك.

يقول ابن عاشور: إن سبب نزولها – أي سورة الرحمن – قول المشركين المكي في قول الله تعالى: (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) [الفرقان: ٦٠]، وهو ذاته قول ابن عطية عندما رجح مكية السورة.[15]

أيات سورة الرحمن: عند ذكر عدد آيات سورة الرحمن اختلاف في بعض الروايات: سبع وسبعون آية (77) عند رواية الورش ثمانية وسبعون (78) عند رواية الحفص وقالون، والدليل عند رواية الورش عددها سبع وسبعون الآية الأولى في سورة وهي محذوفة عندهم يعني: (الرحمن علم القرآن)، بل هذه الآية يعني الأولى في هذه السورة ثابتة عند رواية الحفص وقالون، مثل قوله عز وجل: (الرحمن علم القرآن).

بين يدي السورة وتصنيفها:

سورة الرحمن سورة مكية على الراجح، وقد تكون مبكرةً في التروك، وهذا يقتضي أنها تعالج أصول العقيدة التي كان التركيز عليها كبيرا في تلك المرحلة المبكرة من الدعوة الإسلامية، كما في جميع السور التي أجمع العلماء على مكيتها.

والسورة كما هي واضح ابتدأت بالتنويه بنعم الله الظاهرة وآلائه الباهرة، وابتدأت من ذلك بنعمة القرآن الكريم، كيف لا وهي المنة الكبرى والنعمة العظمى، وهي هبة السماء إلى الأرض، والقانون المهيمن على أهلها، والنفخة الإلهية في أرواحهم، والتي تمدهم إحساساً بالوجود وشعوراً بالحياة، ولذلك قُدم بالذكر على خلق الإنسان؛ فبالقرآن تتحقق للإنسان معنى الإنسانية ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢]

وجوب شكر الله تعالى والإكثار من ذكره والحث على عبادته؛ الشمس والقمر، والنجم والشجر، وسماء مرفوعة بلا عمد، وأرض مزروعة بلا جهد؛ في هذا كله وفي غيره أيضاً إشارة إلى ارتباط الوجود بخالقه المبدع، واتصال الكون بصانعه العظيم ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ [الرحمن: ٦]

وفيه أيضاً حديثٌ عن قدرة الله تعالى فيما أتقن من خلْق، وما أبدع من إنشاء؛ خلْق الإنسان، وخلْق الجانّ، وتسيير الأفلاك، وتسخير السفن التي تمخر عباب البحر وكأنها الجبال الشاهقة عظمةً وضخامة (وله الجوار المنشئات في البحر) [الرحمن :٢٤]

وفي ختام السورة تسبيح باسم الجليل الكريم صاحب النعمة الكبرى والمنة العظمى على الإنسان وعلى كل مخلوق، الذي يفني كل حي ويبقى وجهه الكريم ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمن :٧٨][16]

نسب السورة مكية أم مدنية

كما أشار الباحث سابقا إلى ترجيح كون سورة الرحمن سورةً مكية، يعود هنا للقول: إن هذا القولَ هو قولُ جمهور الصحابة والتابعين، وقد ذكروا من سبب نزولها أنها جاءت ردا على قول المشركين المحكي في القرآن (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) [الفرقان: ٦٠] فيكون نزولها بعد سورة الفرقان وهي سورة مكية وكذلك ما جاء أنها رد على قول آخر للمشركين محكي في قوله تعالى: (إنما يعلمه بشر) [النحل: ١٠٣]. فيكون نزولها كذلك بعد سورة النحل المكية، وقد روي أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون، وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه وذلك قبل الهجرة، والصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه، فأبى ثم قام عند المقام فقال: (الرحمن علم القرآن) [الرحمن: ١-2][17] ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في أنديتها، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه[18]

وعن ابن عباس يؤكد مكيتها سوى آية منها، هي قوله تعالى: (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) [الرحمن: ٢٩]، ولكنه استثناء يأباه السياق. وبهذا تتأكد مكية السورة – والله أعلم – وأنها نزلت قبل سورة الحجر وسورة فاطر، وبعد سورة الفرقان[19]

هنا يمكن القول إن أغراض السورة – والتي ذُكر جزء منها سابقا – تشير بجلاء إلى تأكيد أصول العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين بعد تطهيرهم من أوضار الوثنية الجاهلية، وكذلك تركيزها على مشاهد البعث والجزاء ومشاهد العقاب والثواب، وهذه الموضوعات – كما هو معلوم – ركن ركين من أصول القسم المكي في القرآن. وثمت دليل آخر من موضوعات السورة، إذ هي تتحدث عن خلق الإنسان من الطين، والجن من النار، وهو موضوع مكي، كذلك فإنها تتكلم بالتفصيل عن يوم القيامة وما سوف يحدث فيه من انشقاق السماء وإلقاء المجرمين في جهنم وبئس المصير، والحور العين والنعم الأخرى التي ادخرها الله للمتقين في جنته، وذلك من سمات القرآن الذي نزل بمكة.[20]

بلاغة المتشابه اللفظي في سورة الرحمن

ستحاول المقالة أن تدرس المتشابه اللفظي من آيات السورة الكريمة مع غيرها من السور من خلال السياقات القرآنية في كل سورة؛ لاستيضاح الإعجاز القرآني وتبين الفرق في الأساليب التي كانت سبباً في عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم أو مجرد التفكير في ذلك.

1- قال تعالى: (خلق الإنسان) [الرحمن: ٣] وقال في ذات السورة: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) [الرحمن: ١٤] وقال: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون) [الحجر: ٢٦] وقال: (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) [النحل: ٤] وقال: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) [المؤمنون: ١٢] وقال: (وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) [السجدة: 7-8] وقال: (خلق الإنسان من علق) [العلق: ٢].

ومما يلفت النظر أن جميع السور السابقة الذكر والتي تحدثت عن خلق الإنسان في هذه الصيغة من سور مكية، ولا عجب فمحور السور المكية هو القضية الكبر ى قضية العقيدة، وما يتصل بها من إيمان ووحدانية وما يتعلق بذلك من دلائل وآيات كخلق السموات والأرض وخلق الإنسان وغيرها[21].

ولعل في دراسة سياق كل سورة من هذه السور التي ورد فيها طور من أطوار خلق الإنسان مختلف عن غيره ما يعين على فهم القرآن فهماً صحيحاً دون تكلف أو تعسف، فما في القرآن لفظ إلا جاء في حاقّ موضعه وفي صحيح مكانه[22].

والصلصَال هو الطين الذي يترك حتى ييبس وصار له صوت وصلصلة عند الضرب عليه، وهو شبيه بالفخار إلا أن الفخار هو ما يبس بالطبخ بالنار، إذاً فالسياق هنا سياق امتنان وتذكير لا إسهاب وتفصيل.[23]

قال تعالى: (وخلق الجان من مارج من نار) [الرحمن: 15]، وقال: (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) [الحجر: 27] في سورة الرحمن ذكر المارج، وهو: المختلط من اللهيب المشتعل

المتحرك كألسنة النار مع الرياح، وقد ذُكر في مقابل الصلصال في قوله تعالى: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) [الرحمن: 14] وهو شبيه بالفخار لتعرضه للنار؛ فذكر اللهيب المشتعل في مقابل الصلصال الذي تعرض للنار. وفي سورة الحجر ذكر السموم: وهو الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم، فذكرها مقابل الحمأ المسنون، في قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون) [الحجر: ٢٦]، والحمأ هو الطين إذا اسود وكرهت رائحته، والمسنون: الذي طالت مدة مكثه. والجامع بينهما النتن والرائحة الكريهة، فالمقابلة بين النتانة والسم القاتل، والله تعالى أعلم.[24]

﴿صلصال كالفخار﴾	المقابلة فيهما: بين النار وما تعرض للنار
﴿مارج من نار﴾	
﴿صلصال من حمإ مسنون﴾	المقابلة فيهما: بين النتانة والسم القاتل[25]
﴿نار السموم﴾	

3- قال تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن: 17] وقال: ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ [الشعراء: 28] وقال: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾ [المزمل: 9] وقال: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون﴾ [المعارج: 40]

في سورتي الشعراء والمزمل جاءت بالإفراد وفي سورة الرحمن بالتثنية وفي سورة المعارج بالجمع[26].

يقول الراغب في المفردات: مجملا ما قيل في أكثر التفاسير: المشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشروق والغروب، وإذا قيلا بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه أو بمطلع كل فصل ومغربه.[27]

والملاحظ عند دراسة السياق في كل سورة والنظر إليه بدقة وتعمق، أن محل الخطاب في سورتي الشعراء والمزمل مفرد، حيث جاء اللفظ مفرد، فهو في سورة الشعراء فرعون، وفي سورة المزمل النبي صلى الله عليه وسلم، أما م ـحل الـ خطاب في سورة الرحمن فهما الإنس والجن حيث كان اللفظ مثنى، ومحل الخطاب في سورة المعارج هو جمع الذين كفروا فكان اللفظ جمعا، والله تعالى أعلم.[28]

4- قال: ﴿وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام﴾ [الرحمن: 24] قال أيضا: ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾ [الشورى: 32]

نلاحظ وجود لفظ المنشآت في سورة الرحمن دون سورة الشورى ومن خلال دراسة السياقات قد يتبين السبب وتتضح الفروق، ففي سياق سورة الرحمن كما مر في هذا البحث مراراً سياق امتنان بالتعداد ابتدأ بتعليم القرآن إلى تعلم البيان إلى ذكر آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق

والكون. ومن ذلك من الله تعالى على الإنسان بتسيير السفن واختراقها لعباب البحر وثبجه، وما أودعه فيه وألهمه إياه من القدرة على صنعها وإنشائها.[29]

والسياق في سورة الشورى سياق تفصيل وتوسع في الحديث عن الوحي والرسالة وما يتصل بحقيقة الوحدانية وعرضها من جوانب متعددة تتحدث عن وحدانية الخالق ووحدانية الرازق ووحدانية المتصرف في القلوب ووحدانية المتصرف في المصير ويلي ذلك استعراض لبعض آيات الله في بسط الرزق وقبضه وفي خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وفي الفلك الجواري في البحر كالأعلام[30].

مقارنة بين الجنان الأربع:

قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان تجريان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما من كل فاكهة زوجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. كأنهن الياقوت والمرجان﴾ [الرحمن: 46-58]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن دونهما جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. مدهمتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان نضاختان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما فاكهة ونخل ورمان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهن خيرات حسان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. حور مقصورات في الخيام. فبأي آلاء ربكما تكذبان. لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ [الرحمن: 62-76]

لقد ذكر أصحاب التفاسير أن هذه الجنان جميعها ضمن الجنة الكبيرة المعروفة ولكن اختصاصها بالذكر يوحي بعلو الرتبة وارتفاع الشأن، كما أن التفاوت بينها ملحوظ وظاهر، وقد ربط بعض العلماء بين ذكر هاتين المترلتين لهذه الجنان وبين ما هو في سورة الواقعة، وهو أن أصحاب الجنة فريقان كبيران هما السابقون المقربون وأصحاب اليمين. فالجنتان الأُوليان هما لفريق ذي مرتبة عالية وقد يكون هو فريق السابقين المقربين المذكورين في سورة الواقعة. [31]

ثم نرى جنتين أخريين من دون هاتين ونلمح أنهما لفريق يلي ذلك الفريق وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين. [32] فالجنتان الأوليان ذواتا أفنان أي أغصان وهو جمع فنن والمقصود أفنان عظيمة كثيرة الإيراق والإثمار بقرينة أن الأفنان لا تخلو عنها الجنان، وقد جاء التنكير في ((أفنان)) للتعظيم، وتخصيص ذكر الأفنان لأنها محل الإثمار والإيراق. بينما في الجنتين الأخريين قال: مدهامتان، والدُّهمة لون السواد، ووصف الجنتين بالسواد مبالغة في شدة خضرة أشجـ ـارهما، حتى تكون بالتفاف

أشجـ ـا رهـ ـما وقـ ـوة خضرتيهما كالسوداوين، لأن الشجر إذا كان ريانَ اشتدت خضرة أوراقه، حتى تقرب من السواد، ولعل في هذا الوصف إشعارا بأن الغالب عليهما النبات المنبسط على وجه الأرض، كما أن في ذكر الأفنان سابقا ما يوحي بالأشجار؛ إذ وصف الشجر عادة إنما يكون بالأغصان، ولا شك إن صح هذا القول وترجح؛ أن الجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأغلى من الجنة القليلة الظلال والثمار[33].

من نتائج البحث:-

- إن المتشابه اللفظي في القرءان هو الجمل والأيات المتفقة في معظم الألفاظ، والمختلفة في اليسير منها الواردة بأسليب بلاغية متنوعة مع تشبهها في المعنى.
- تناولة السورة بعض الجوانب النعم التي أعد الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة حيث وصفها لعباده الأتقياء.
- تكرار الكلمة أكثر من مرة في السورة في صيغ مختلفة للقيمة المعنوية والبلاغية.
- جميع السور السابقة الذكر والتي تحدثت عن خلق الإنسان في هذه المقالة من سور مكية، فالسور المكية هي القضية العقيدة، وما يتصل بها من إيمان ووحدانية وما يتعلق بذلك من دلائل وآيات كخلق السموات والأرض وخلق الإنسان وغيره.

الخاتمة:-

إفتتح الباحث مقالته بالمقدمة ثم تبعه بمفهوم علم البلاغة من البيان والمعاني والبديع مع بيان مؤجز لكل منها، وذالك مما يمس بتعريفاتها وتاريخ نشأتها وواضعيها, ثم أتبعها بأسباب نزول السورة، وعدد آياتها، ثم نبذة مختصرة عن بين يدي السورة وتصنيفها، وتحدث الباحث أيضا عن نسب السورة (مكية أم مدنية)، ومن ثم دراسة بلاغية للسورة، وكذالك ناقشة المقالة عن المتشابه اللفظي في الآيات، مع مقارنة بين الجنان الأربعة، والله المستعان وهو خير معين ولاحول ولاقوة إلابالله العلي العظيم.

الهوامش

1 - الزمر 23

2 - سورة النساء: 63

3 - النور: 59

4 – البلغة في فنون البلاغة، (ص/32)، والكافي في البلاغة (ص/19–22)

5 – جواهر البلاغة، ص/181.

6 – الكافي في البلاغة ص/41–42.

7 – البلغة في فنون البلاغة، ص/36.

8 – جواهر البلاغة، ص/34.

9 – البلغة في فنون البلاغة، ص/204.

10 – الكافي في الببلاغة، ص/167

11 – البلغة في فنون البلاغة، ص/204.

12 – تفسير ابن كثير المجلد الرابع، ص/392–393.

13 – أسباب النزول، للإمام السيوطي، ص/394.

14 – التحرير والتنوير، ج27، ص215، المحور الوجيز، ج14، ص177.

15 – التحرير والتنوير، ج1، ص48، وفي هذه المقدمة عظيم نفعٍ لمن أراد الفائدة، وانظر: زرزور، علوم القرآن وإعجازه، 204–207.

16 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ط15، 1988، دار الشروق، القاهرة، ج 6، ص3445–3458 يقرأ: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وهذا يقتضي نزولها قبل سورة الحجر.

17 – أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج44، رقم: 26955

18 – أخرجه ابن هشام في السيرة، ط/ دار الفكر، ج1، 314–315، وابن الأثير في أسد الغابة، ط/2، 2002، دار الكتب العلمية بيروت، ج3، 385–386.

19 – عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، 1991م، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ج14، ص177–178، الآلوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، ج15، ص148–149، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص214–215، التفسير المنير، ج14، ص204–206.

20 – د. إبراهيم عوض، سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية ص5.

21 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص126.

22 – المرجع السابق، ص127.

23 – المرجع السابق، ص132.

24 – التحرير والتنوير، ج27، ص229.

25 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص133.

26 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص134.

27 – المفردات ص451.

28 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص134.

29 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص135.

30 – المرجع السابق، ص135-136.

31 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص137-138.

32 – الظلال، ج6، 3457.

33 – سورة الرحمن دراسة بيانية بحث لم أعثر على اسم الباحث ولا الجامعة أو القسم الذي أشرف على عليه. ص138-139.

المراجع

- مختصر تفسير ابن كثير، لمحمد علي الصابوني، ط 7، 1981م، دار القرآن الكريم، بيروت، ج3، ص 415.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط1، 1991م.
- روح المعاني، لابن عاشور، التحرير والتنوير، دار الفكر، بيروت، ج15، ص148-149،
- أسد الغابة، لابن الأثير ط/2، 2002، دار الكتب العلمية بيروت، ج3، 385-386.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط15، 1988، دار الشروق، القاهرة، ج 6، ص3445-3458

- الفروق البيانية والأسلوبية، محمد قطب، دار الأعلام، عمان، 217-218، دراسات قرآنية، ط 8، 2004م، دار الشروق القاهرة، 20.
- إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل عباس، ط1، 1997م، دار الفرقان، عمان، ج1، ص375-376،
- علوم القرآن وإعجازه وتاريخ وتوثيقه، عدنان محمد زرزور، ط 1، 2005م.
- من آي التتريل، دار الغرب الإسلامي، ط1، عام 1983م، بيروت، ج2، ص1056-1057،
- البيهقي في شعب الإيمان، بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،1410هـ. ج6، ص37، رقم: 2494.
- تاج العروس من جواهر القاموس،لمرتضى الزبيدي تحقيق علي شير، دار الفكر،436/18.
- رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ابن عاشور، التحرير والتنوير بدولة قطر، ج14، ص177-178،
- الآلوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، ج15، ص148-149، ، ج27، ص214-215، التفسير المنير، ج14، ص204-206.
- دراسة بلاغية وأسلوبية د. إبراهيم عوض، سورة الرحمن ص5.